الوحدة السابعة

السلام وفض النزاعات والمصالحة

كانت الأدبيّات العالميّة تعرض مرحلة الحربين العالميّتين بوصفها حقبة بَدَت فيها عورة البشريّة، فاحتاجت إلى ما يسترها، وظهرت آنذاك شِرعةُ حقوق الإنسان، قبيل منتصف القرن العشرين، وظهرت اجتهادات كثيرة لتطوير واقع البشريّة، والأفراد.

المشكلة اليوم أنّنا تجاوزنا منذ مطلع القرن الحادي والعشرين أفكار حقوق الإنسان، والأمن الإنسانيّ، وحقوق الجماعات والأفراد، بل إنّ الإنسانيّة والطبيعة البشريّة صارتا موضع تساؤل.

إنّ انهيار منظومة القيم التي قامت عليها المجتمعات منذ النهضة الزراعيّة، ثمّ النهضة الصناعيّة، وصولا إلى أيّامنا هذه، يجعلنا في حاجة إلى بلورة صيغة تسمح للبشر بالعيش، أو لنقل: صيغة لا تهدّد البشريّة بالزوال.

إنّ الحملات العسكريّة، والإبادات، والعبوديّة، وحقبة الاستعمار الأوروبي، وتسويات ما بعد الحربين العالميّتين، والشوفينيّة، والامتيازات العرقيّة، والتمييز العنصريّ، والاحتكار، والسيطرة على الثروات، والإقصاء - كلّها وُلِدت من أنظمة تعليم، ووُلِدت منها أنظمة تعليم، وما بُني على باطل فكلّه باطل.

وفي مقابل هذا كلّه وُلدت ردة فعل قاومت الكرهَ بالكره، والقتل المنظّم والسطو المنظّم على الثروات، فاشتغل من اشتعلَ على تنظيم كرْهٍ مقابلٍ، من خلال استثمار قوّة الضعفاء.

إنّ مفاهيم السلام، وفضّ النزاعات، والمصالحة - كلّها مفاهيم مؤقّتة، فبما أنّ حربًا وقعتْ؛ فإنّ السلام هو تفاهمٌ آنيٌّ، وبما أنّ النزاع قد وقع؛ فإنّ فضّ النزاع يزيل واقعةَ النزاع فقط، ما لم يعمل على إزالة أسبابه، والمصالحات هي تجاوز آنيٌّ للحظة الصراع، والعفو عمّا سلف.

ربّما آن الأوان لثقافة الرجل الأبيض لتكرّس فكرةَ المحبّة، وحقّ الناس جميعا في العيش، من دون أفكار التفوّق العرقيّ والجنسيّ والدينيّ، ولا ريب في أنّ المدخل الأوّل لذلك كلّه هو التعليم، ثمّ يجيء الإعلام، والثقافة من سينما وأدب، وسواهما.

وفي مقابل ذلك، ينبغي لمن يملكون مالاً أن يدفعوا لمن لا يملكون، لتأمين مستوى لائق لهم للعيش مثل كائنات بشريّة، بل ينبغي أن تُدفعَ المليارات من الدولارات لإصلاح أنظمة التعليم في الأجزاء الفقيرة من العالم.

السلام ليس رغبة، بل هو حاجة، ذلك أنّ العالم المتقدّم، مَن ساهم في ظلم الآخرين ومن لم يساهم، كلّهم يدركون تفاقم الخطر، واقتراب النار من أصابعهم. فليتوقّف الساسة عن العبث بالآخرين، وصناعة القوى الظلاميّة، والجماعات الإرهابيّة، ويجب أن يكون ثمّة رادع للمال السياسيّ، وللتغوّلات، وللطمع، والبراجماتيّة ذات القلب القاسي، وتكديس الثروات بلا قيود، والاستقواء بلا رادع، وغياب الضمير الإنسانيّ بلا بديل، وازدواج المعايير، وغياب سيادة القانون. لا بدّ من عقلنة البشريّة في هذه المرحلة.

قد تتعدّد المصطلحات، ولكنّ الخطوة الأولى، وربّما البديلة لذلك كلّه هي تعميم ثقافة المحبّة في عالم على شفير الهاوية.